التوجه العقدي للإمام والخطيب

إعـــداد

محمد فخور العبلي

التوجه العقدي للإمام والخطيب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً أما بعد

أولا : مسائل حساسة في العقيدة

عدم التطرق لمسائل العقيدة الحساسة مثل خلق القرآن والاستواء والمعية وغيرها أمام العامة في خطبة الجمعة أو بعد الصلاة المفروضة ٠

ثانيا : التنبيه على المخالفات العقدية

على الإمام والخطيب التنبيه والتحذير من القنوات التي تحارب العقيدة كالقنوات الشيعية وهي كثيرة جدا وبعدة لغات ، وخصوصا قنوات الأطفال (طه و هادي – هدهد) ، والرسوم المتحركة التي لا تخلو من مخالفات عقدية مثل (يصعد للسماء وغيمة تتكلم ٠٠٠٠٠٠٠٠) قال ابن تيمية في المنهاج إن أصل كل فتنة وبلية هم الشيعة ومن انضوى إليهم ٠٠٠ وقال : فهم يوالون أعداء الدين ٠٠٠

ثالثا : الاختيار السليم لمواضيع العقيدة

يجب على الإمام والخطيب التطرق بين فترة وأخرى لقضايا عقدية مهمة محذرا منها ، ومنبها عليها بالحجة والدليل مثل قضايا (السحر - العين - الشعوذة - الدجالين - الحجب - التمائم – التبرك بالقبور والأضرحة - الذبح لغير الله ٠٠٠

رابعا : مدخل إلى منهج التأصيل العقدي

منهج التأصيل العقدي هو : الطريقة التي يتبعها الناس لمعرفة دينهم وتقريرِ أصوله ومسائله ودلائله ، وذلك يشتمل على جانبين :

الجانب الأول : المصادر التي يستقي منها الناس معتقداتهم ومبادئهم وأفكارهم حول الحقائق الغيبية للكون وخالقه ، والإنسان والحياة ٠

الجانب الثاني : هو أسلوب تعاملهم مع هذه المصادر ليفهموا منها رأيا معينا ؛ فإن اتفاقهم على مصدر معين لا يعني ضرورة اتفاقهم على الآراء المستخرجة منه ؛ لاختلاف طرائق الفهم عند الناس ٠

ولما كان تنوع الآراء والمذاهب والمعتقدات الدينية تابعا لاختلاف المناهج المتبعة في معرفة الدين وتنوع مصادرها وطريقة فهمها كان من الضرورة القصوى لمبتغي الإصلاح والتصحيح العقدي البدء بهذه القضية ، وإلا سيذهب جهده سدى في التوفيق بين آراء متناقضة ومذاهب متشعبة لم تتفرع عن طريق واحد في الأصل ، وهذه هي العلة التي لم يفطن لها المجتهدون في سبيل التقريب بين أصحاب المذاهب والديانات ، حتى أدت إلى ضياع جهودهم ٠

لقد كانت قضية منهج تلقي المعتقدات الدينية والاستدلال عليها واضحة تماما في دعوة الأنبياء والمرسلين ، فالدين مبني أساسا على الإيمان بالغيب ، وهذه القضية لا مجال فيها لأخذ العلم المفصّل وتلقّيه إلا عن الأنبياء والرسل ، واعتماد ما يوحى إليهم من مرسلهم جل وعلا ، سواء كان ذلك في معرفة الله تعالى تفصيلا ، أو معرفة ما غاب عنا من حقائق الكون وسر وجود الإنسان ، وما يتبع ذلك من مصيره بعد انقضاء الحياة الدنيوية ، أو ما يجب على الإنسان أداؤه ليحقق حكمة وجوده فينال السعادة والراحة والطمأنينة ، **أما العقل البشري الذي توهّم الكفار استغناءهم به عن الوحي الإلهي فإنه يقف في مجال معرفة الغيب عند حدود المعرفة المجملة بأن لهذا الكون خالقا ، ولهذا الوجود حكمة ، ولا يتجاوز ذلك** إلى تفصيل معرفة هذا الخالق ولا إلى تفاصيل حكمة الوجود ، قال تعالى (يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وإن تكفروا فإن لله ما في السموات والأرض وكان الله عليما حكيما ، يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن

مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله) [النساء ١٧٠- ١٧١] ، وقوله (إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل)(الزمر ٤١) ، **وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال (يا معشر المسلمين ، كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله ، تقرؤونه لم يُشَب ، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله ، وغيروا بأيديهم الكتاب فقالوا : هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم ، ولا والله ما رأينا منهم رجلا قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم)** صحيح البخاري ٠

وعلى هذا فإن تلقي العقيدة الإسلامية سواء أصولها الكبرى أو مسائلها التفصيلية يجب ألا يتجاوز طريقة السلف في الأخذ عن الكتاب والسنة وفق فهم السلف الكلي المنهجي لهذين المصدرين (القرآن والسنة) ، وهو ما يمكن تلخيصه في النقاط التالية :

١- **الأخذ بظواهر القرآن والسنة :** الأصل أن يفهم القرآن والسنة بمقتضى ظاهر لغتهما العربية ؛ كما هي طريقة السلف ؛ لقوله تعالى { إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون } [يوسف ٢] ، وقوله { ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون ، قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون }[الزمر ٢٧ - ٢٨] ، وقوله { وإنه لتنـزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين } [الشعراء ١٩٢-١٩٥] ، وقوله { ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء }[فصلت ٤٤] ، ومن ادعى فهم شيء من القرآن أو السنة على خلاف ما دل عليه ظاهر اللغة فعليه إثباتُ ذلك بدليل معتبر شرعا ، من آية محكمة ، أو حديث صحيح صريح ، أما صرف اللفظ عن ظاهره لمجرد المعارض العقلي المتوهم وتأويله بخلاف المتبادر من سياق الكلام فيدخل في تحريف الكلم عن مواضعه ، الذي عابه القرآن على أهل الكتاب ٠

٢- **اعتبار حجية الثابت من السنة النبوية المشرفة دون الضعيف :** فيجب قبول مضمون الرواية الثابتة عن رسول الله ﷺ بحسب القواعد التي سار عليها علماء الحديث ولو بأدنى درجات الثبوت ، وهو يسميه علماء مصطلح الحديث : الحسن لغيره ، مع مراعاة تأثير التفاوت بين درجات

الثبوت في قيمة المسألة العقدية وتقييم المخالفة فيها ، وقد أجمع السلف رحمهم الله على إثبات المسائل العقدية بحديث الآحاد .

٣- **الجمع بين العقل الصريح والنقل الصحيح :** يستقل العقل بالدلالة على أصل الربوبية والنبوة ، ودلالته على ذلك قائمة بنفسها ، إلا أن العقل الصريح بعد إثباته النبوةَ لا ينفرد بتأسيس عقيدة تفصيلية لم يصرح بها القرآن أو السنة الصحيحة ، بل لا توجد مسألة عقدية يمكن أن يثبتها العقل إلا وفي القرآن والسنة تنبيه عليها ، وضابط صراحة العقل فطريته واتفاق العقلاء عليه ، **كالقول بأن الأثر يفتقر إلى مؤثر ، وبأن النقيضين لا يجتمعان** ، وعلى هذا يلزم التوافق بين العقل الصريح والنقل الصحيح من القرآن والسنة ؛ لأن العقل الصريح قد شهد بعصمة النقل الصحيح كما هو معلوم من دلائل النبوة اليقينية ، فيمتنع بعد ذلك أن يكذّبه ، لكنه قد يعجز عن إدراك كثير من حقائق ما جاء به النقل ، ويحار لها ويعجب منها تعظيما لا تكذيبا ، **والشرع يأتي بمحارات العقول ولا يأتي بمحالاتها .**

٤- **اعتبار حجية إجماع الصحابة** ﷺ ؛ لقوله ﷺ (لا تجتمع أمتي على ضلالة) ، وقول ابن مسعود ﷺ (ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ، وما رأوه سيئا فهو عند الله سيئ) رواه أحمد .

هذه هي المعالم الرئيسية للمنهج الشرعي في دراسة العقيدة وتأصيل مسائلها وتقرير دلائلها ، فليعلم أن كل ما أحدثه الناس وراء ذلك من مصادر ومناهج لتلقي العقائد فهو مردود بقوله ﷺ (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد) رواه البخاري : مثل :

١- **الرؤى والمنامات .**

٢- **الكشوفات الرُوحانية والإلهامات ؛ فقد كان أحظ الناس بها عمر بن الخطاب** ﷺ لقول النبي ﷺ (إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب) البخاري ، ومع ذلك **ما كان عمر** ﷺ **يحتج بهذا الإلهام على إذا خالفه أحد من الصحابة** ، ولم يكن الصحابة يتركون مخالفته في اجتهاداتهم الفقهية لأجل هذه المزية عنده .

٣- **التقليد المجرد من الدليل (التقليد الأعمى)** ؛ لانحصار العصمة في النبي ﷺ ، فمن ادعاها لغيره لزمه عدم القول بختم النبوة بمحمد مضمونا لا لفظا ؛ لأن العصمة أخص خصائص النبوة ، وبها لزم إتباع النبي ﷺ ؛ لأن المعصوم دائما على الحق ، وإتباع الحق واجب .

الآفات التي أدخلها أصحاب المناهج البدعية على مصادر العقيدة الشرعية :

١- **التأويل الاصطلاحي الذي أحدثه المتكلمون** ، وهو صرف ألفاظ القرآن والسنة عن ظواهرها المتبادرة إلى الذهن بحسب اللسان العربي ، إلى معانٍ مرجوحةٍ ؛ لمجرد معارضاتٍ عقلية وهمية غير صريحة ، وقد أفضى هذا التأويل إلى تحريف كثير من معاني الوحي ، وفتح باب التأويل الباطني لكل العقائد ٠

٢- **الميل بدلالات السنة النبوية** ، إما بقبول ما لم يصح كما هو فاشٍ عند المتصوفة والشيعة ، أو برد ما صح من الأخبار بحجة عدم إفادة أخبار الآحاد اليقين ، كما هو منهج المتكلمين عامة ٠

٣- **الميل بالدلالات العقلية** ، إما بتسليط العقل الوهمي على الوحي ، وجعله حاكما عليه مصححا له ، ما يفضي إلى تعطيل حقيقة وظيفة الرسالة ، وإما بتعطيل الدلالات العقلية الصريحة وتجاهلها ، وإهمال ما زخر به القرآن منها ، والنظر إلى دلالاته على أنها سمعية مجردة تؤخذ على قاعدة التسليم ، فلا يخاطب بها غير المؤمن بالرسالة ٠

٤- **عدم توثيق الإجماعات** ، والتساهل في حكايتها دون مستند ، في مسائل عقدية لا يُتصور خفاؤها مع عموم الحاجة إليها ٠

خامسا : صفات أهل السنة والجماعة

الفرقة الناجية والطائفة المنصورة

لقد تعرضت الأمة الإسلامية بعد توحدها وصفو منهجها للانحراف والضلال عن نهج النبي ﷺ ، فاختلف الأتباع ، وتعددت مذاهبهم ، وزاغ أكثرهم عن طريق الحق طريق الأنبياء والرسل ، وكان من الصعب إعادة تلك الأمم وجمع تلك الطوائف على كلمة الحق الواحدة ، للتحريف الذي وقع في كتبهم ، والتغيير الذي أُحدث في أديانهم ، فلم يبقَ لديهم أصل سالم من العبث يرجعون إليه ، ولا قانون محكم يتحاكمون إليه ، فاتسعت الهوة ، وعظمت الشقة ، فلم يزدادوا إلا انحرافاً ، وأنَّى لمن فقد الأصل الصحيح أن يعود إلى الحق ، وقد أخبر رسول الله ﷺ عن افتراق هذه الأمة ، فقال (افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة ، وتفترق

أمتي على ثلاث وسبعين فرقة) صححه الألباني في صحيح الجامع برقم ١٠٨٣ ، وقال ﷺ (ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة ، وهي الجماعة) صححه الألباني الترغيب والترهيب برقم ٥١ ، وهذه هي الجماعة المنصورة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ بقوله (لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله ، لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله ، وهم ظاهرون على الناس) متفق عليه ٠

بعض صفات وأوصاف الطائفة المنصورة إجمالاً :

١- **الاهتمام بكتاب الله** ؛ حفظاً وتلاوة وتفسيراً ، والاهتمام بالحديث ، معرفة وفهماً وتمييزاً لصحيحه من سقيمه لأنهما مصدر التلقي مع اتباع العلم بالعمل
٢- **الدخول في الدين كله** ، والإيمان بالكتاب كله ٠
٣-**الاتباع وترك الابتداع** ، والاجتماع ونبذ الفرقة ، والاختلاف في الدين ٠
٤- **الاقتداء والاهتداء بأئمة الهدى العدول** ، المقتدى بهم في العلم والعلم والدعوة - الصحابة ومن سار على نهجهم - ومجانبة من خالف سبيلهم٠
٥- **التوسط فهم في الاعتقاد** ، فهم وسط بين فرق الغلو وفرق التفريط ٠
٦- **الحرص على جمع كلمة المسلمين على الحق** ، وتوحيد صفوفهم على التوحيد والإتباع ، والابتعاد عن كل أسباب النزاع والخلاف فيما بينهم ٠
٧- **الدعوة إلى الله** ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والجهاد ، وإحياء السنة ، والعمل لتجديد الدين ، بإحياء السنن ، ونفي البدع والمحدثات ، وإقامة شرع الله وحكمه في كل صغيرة وكبيرة ٠
٨- **الإنصاف والعدل** ؛ فهم يراعون حق الله تعالى لا حق النفس أو الطائفة ، ولهذا لا يغالون في مُوالِ ، ولا يجورون على معاد ، ولا يغمطون ذا فضل فضله أيا كان ٠
٩- **التوافق في الأفهام** ، والتشابه في المواقف رغم تباعد الأقطار والأزمان ، أو تنوع الأشكال والألوان ، أو الجنسية والبلد ، وهذا من ثمرات وحدة المصدر والتلقي ٠
١٠- **الإحسان والرحمة وحسن الخلق مع الناس كافة ٠**
١١- **النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم ٠**
١٢- **الاهتمام بأمور المسلمين ونصرتهم ، وأداء حقوقهم ، وكف الأذى عنهم ٠**

سادسا : تقديم النقل على العقل

يجب تقديم النقل على العقل عند توهم التعارض ، مع العلم الجازم أنه لا تعارض بين نقل صحيح وعقل صريح ، وابن تيمية ركز عليها تركيزاً قوياً جداً ، وأشار إليها في عدة مواضع في كتابه : **درء تعارض العقل والنقل** ، هذه القضية لو أردنا أن نستفيض في دراستها والنظر في خفاياها لطال بنا المقام إلى حد بعيد ، ولكن نحصرها في مثالين :

المثال الأول : المني والغائط

لو سألت أحداً منكم عن أيهما يكون نجساً المني أو الغائط ؟ كلكم ستجيبون أن المني طاهر والغائط نجس ، ومع ذلك إذا خرج من الإنسان قطرة من المني وجب عليه أن يغسل جسده من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه ٠

لكن إذا خرج منه غائط هل يلزمه الغسل ؟ لا يلزمه الغسل الكامل ، لكن يلزمه غسل الموضع فقط ، وتجديد الوضوء ، أما غسل الجسم كاملا فلا ٠

العقل يقول لك : الأصل أن هذا نجس وهذا طاهر فالأولى أن يغتسل الإنسان من الغائط ولا يغتسل من المني ، خاصة أن المني طاهر ، لكن الشرع يقول لك : لا ، بل اغسل جسدك كاملاً لخروج المني ولا تغسله لخروج الغائط أو البول ، **إذاً :** كأن هناك تعارض بين النقل والعقل ، فالذين يأخذون بالمبدأ العقلي يقولون : لا ، هذه مسألة تحتاج إلى أن نتوقف معها ، هذه غير مقبولة عقلاً ، فهي مرفوضة عقلاً ، لكن أهل الحق يقولون : نقدم النقل على العقل ، والعقل هنا صحيح أنه يفرض على الإنسان أن يغتسل من خروج الغائط ولا يغتسل من خروج المني ، لكن الشرع يقول لنا : لا بد أن نغتسل للمني ، إذاً لا بد أن نغتسل ، فقدمنا النقل على العقل ٠

العقل الحديث المتزن : جاءت الاكتشافات الحديثة والتي تعد مصداقاً لقول الله سبحانه وتعالى (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) [فصلت:٥٣] ٠

يقول طبيب ألماني : إنني اكتشفت بعد دراسة مستفيضة لمدة عشر سنوات أن الإنسان الأوربي يوجد لديه سرطان الجلد بنسبة تفوق وجودها في العالم الفقير

ومنه العالم الإسلامي تكاد تصل إلى (١٠%) ، يقول : بعد دراسة ومتابعة مستفيضة دقيقة تبين لي أن السبب في ذلك هو أن الإنسان إذا أفرز شيئاً من المني فإن الجلد يفرز إفرازاً معيناً ، فإذا تراكم هذا الإفراز مرة وثانية وثالثة وعاشرة أدى ذلك بالإنسان إلى أن يصاب بسرطان الجلد ، أما المسلمون فإنهم عندما يخرج من أحدهم شيء من ذلك فإن عباداته لا تُقْبل إلا بعد أن يغتسل غُسلاً كاملاً ، حتى إن الفقهاء يذكرون لك أنه لا بد أن يغسل كل نقطة في جسده ، كل شيء حتى ما تحت منابت الشعر ، وما تحت الآباط ، حتى مغابن الجلد وغير ذلك ؛ حتى يزول هذا الإفراز ٠

إذاً : نلاحظ أن التعارض هنا لا يمكن وجوده ، فلا تعارض بين نقل صحيح وعقل صريح ، لكنه تعارض وهمي زال وانتهى في هذا الزمن ٠

المثال الثاني : حديث الذبابة

الحديث المشهور المعروف (قال رسول الله ﷺ إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فإن في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر داء) البخاري ، قبل عشرين سنة تقريبا اكتشفت هذه المسألة ، وإذا بأحد جناحي الذباب يحوي ميكروبات مرض ، والجناح الآخر يحوي فطريات تقضي على المرض ، فإذا جمع هذا الجناح مع هذا الجناح قضت الفطريات على الميكروبات وانتهى المرض ٠

العقل الحديث المتزن : يقول الذين حللوا هذه القضية من العلماء الغربيين : أنهم اكتشفوا أن الذباب عندما يقع في الإناء فإنه يغمس جناحاً ويرفع آخر ، وعندما بحثوا هذا ، أجمعوا على أن الجناح المرفوع هو الجناح الذي يحتوي على الدواء ، أما الجناح الذي يسقط في الماء أو في العصير أو في غيره فهو جناح الداء ، ولذلك جاء النص (فليغمسه) فيسحب الماء أو الحليب أو العصير الجراثيم أولاً ، وهذا بفعل الذباب وليس بفعلك أنت ، ثم بفعلك أنت تغمس الذباب ؛ حتى يختلط هذا مع هذا فيزيل هذا هذا ٠

المثال الثالث : المسح على الخفين

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : عن علي ﷺ قال (لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه ، لقد رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظاهر خفيه) رواه أبو داود والدارقطني ، ولحديث عليٍّ ﷺ قال (لو كان الدِّين بالرَّأي ، لكان أسفلُ الخُفِّ أولى بالمسح من أعلاه ، وقد رأيت رسول الله ﷺ يمسح أعلى الخُفِّ) ، وهذا الحديث وإِنْ كان فيه نَظَرٌ ؛ لكن حسَّنه بعضهم ، وفي قوله (لو كان الدِّين بالرَّأي) إِشكال ، فإِن الرَّأي هو العقل ، وهل الدِّين مخالفٌ للعقل ؟ الجواب : لا ، ولكن مرادُ عليٍّ رضي الله عنه إِن صحَّ نسبته إليه هو باديَ الرَّأي كما قال تعالى (وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ) [هود ٢٧] ، أي : في ظاهر الأمر ، لأنه عند التَّأمُّل نجد أن مسح أعلى الخُفِّ هو الأَولى ، وهو الذي يدلُّ عليه العقل ، **لأنَّ هذا المسح لا يُراد به التَّنظيف والتنقيةُ** ، وإنما يُرادُ به التعبُّد ، ولو أنَّنا مسحنا أسفلَ الخُفِّ لكان في ذلك تلويثٌ له ٠

أقول : والبعض يرى المسح ظاهرا وباطنا كما هو عند الشوكاني في نيل الأوطار ٠

المثال الرابع : معجزة انشقاق القمر

العقل لا يقبل ولا يتصور هذه الحادثة

كفار مكة قالوا للرسول ﷺ إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين ، ووعدوه بالإيمان إن فعل ، وكانت ليلة بدر ، فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه ما طلبوا فانشق القمر نصف على جبل الصفا ، ونصف على جبل قيقعان المقابل له ، حتى رأوا حراء بينهما ، فقالوا : سحرنا محمد ، ثم قالوا : إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم ، فقال أبو جهل : اصبروا حتى تأتينا أهل البوادي فإن أخبروا بانشقاقه فهو صحيح ، وإلا فقد سحر محمد أعيننا ، فجاءوا فأخبروا بانشقاق القمر فقال أبو جهل والمشركون : هذا سحر مستمر أي دائم فأنزل الله (اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر

مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر) ٠

قال الدكتور زغلول النجار في إحدى جامعات بريطانيا : أن معجزة انشقاق القمر على يد الرسول ﷺ تم إثباتها حديثا ثم حكى قصة أثبتت ذلك ، **وقال داود موسى بيتكوك رئيس الحزب الإسلامي البريطاني** : أنه أثناء بحثه عن ديانة أهداه صديق ترجمة لمعاني القرآن بالإنجليزية فتحها فإذا بسورة القمر فقرأ (اقتربت الساعة وانشق القمر) فقال هل ينشق القمر فترك المصحف ولم يفتحه مرة أخرى ، وفي أحد الأيام يوم وهو يشاهد برنامجا على ال بى بى سى يحاور فيه المذيع ثلاثة من العلماء الأمريكان وكان يعتب عليهم أن أمريكا تنفق الملايين بل المليارات في مشاريع غزو الفضاء في الوقت الذي يتضور فيه الملايين من الفقر فظل العلماء يبررون ذلك أنه أفاد كثيرا في جميع المجالات الزراعية والصناعية ٠٠٠٠٠ الخ ، ثم جاء ذكر أحد أكبر الرحلات تكلفة فقد كانت على سطح القمر وكلفت حوالي مائة مليار دولار فسألهم المذيع الكي تضعون علم أمريكا على سطح القمر تنفقون هذا المبلغ ؟ رد العلماء أنهم كانوا يدرسون التركيب الداخلي لهذا التابع لكي يروا مدى تشابهه مع الأرض ثم قال أحدهم : فوجئنا بأمر عجيب هو حزام من الصخور المتحولة يقطع القمر من سطحه إلى جوفه إلى سطحه فأعطينا هذه المعلومات إلى الجيولوجيين فتعجبوا وقرروا أنه لا يمكن أن يحدث ذلك إلا أن يكون القمر قد انشق في يوم من الأيام ثم التحم وأن تكون هذه الصخور المتحولة ناتجة من الاصطدام لحظة الالتحام ٠

نلاحظ أنه لا تعارض بين نقل صحيح وعقل صريح ، فتقديم النقل على العقل منهج من مناهج السلف ، وهذا يرد على طوائف من أهل العقل وهم موجودون وبكثرة في كثير من البلاد الذين يخضعون نصوص الشرع العقدية بالذات للعقل ، **ونضرب مثال على هذا : أحدهم يقول : قضية عذاب القبر** من القضايا التي لا يمكن أن يؤمن بها الإنسان ؛ لأننا نحفر القبور ولا نجد فيها مد البصر نعيماً أو عذاباً ، أو حيات أو عقارب ، لا نجد ذلك ، نحفر القبر فنجد جثة هامدة أو عظاماً بالية ، ليس فيها شيء ، إذاً : هذا يدل على أنه ليس هناك عذاب قبر ، ليس هناك عذاب للقبر نهائياً ، فيا ترى ما هو الجواب على هؤلاء ؟ **والجواب والله أعلم المقارنة بين الميت والنائم ، فالنائم يعيش أحلاما متنوعة لا يشعر به من هو بجانبه ٠**

سابعا : عدم الخوض في علم الكلام والفلسفة

علم الكلام

هو دراسة المسائل العقدية بمنأى ومعزل عن الكتاب والسنة ، بل يدرسونها بالأشياء العقلية ، وبالاجتهادات والآراء

ولذا ينهى عن الخوض في علم الكلام والفلسفة والاقتصار في بيان العقيدة على القرآن والسنة .

دخول علم الكلام لبلاد الإسلام

جاء مجموعة من الناس إلى الخليفة العباسي المشهور المعروف **بالمأمون الخليفة السابع من خلفاء بني العباس** ، كان رجلاً مشهوراً بالحلم والفضل وغير ذلك ، لكنه سود عصره بتقريب **المعتزلة** وابتلاء أهل الحق من أهل السنة ، فقد قرب المعتزلة حتى أثروا عليه ؛ **فجعلوه معتزلياً مثلهم** ، ثم طلبوا منه أن يأتي بكتب الفلاسفة القدماء من يونان أو رومان أو فرس أو روم أو هنود أو غيرهم ، وفعلاً بدأ يرسل الرسل والمراسلات إلى أصحاب هذه الدول ؛ كان من ضمن هذه المراسلات **رسالة موجهة إلى ملك صقلية جورج الأول** ، فتلقى الرسالة من خليفة المسلمين يطلب فيها نسخاً من كتب موجودة في الخزانة الخاصة بمكتبة كذا وكذا في هذه البلدة أو في هذه الدولة ، فجمع هذا الملك أعيان الدولة وعرض عليهم الأمر ؛ فكلهم رفض ، قالوا : لا ، نحن في حرب مع المسلمين ولا يليق أن ترسل لهم الكتب أو تنسخ لهم الكتب ، إلا واحداً من هؤلاء وكان من علمائهم ، فقال : بل أرسل له هذه الكتب وأعطه إياها ، فوالله ما دخلت هذه الكتب على قوم إلا فرقت دينهم أحزاباً وشيعاً ، فيبدو أن هذا الملك انصاع لرأي هذا الكاهن أو هذا العالم فأخذ هذه الكتب ونسخها ، وكانت مكتوبة **باللغة اليونانية القديمة** ، جاءت هذه الكتب إلى المأمون باللغة اللاتينية فما الحل ؟ الحل أن يبحث عن أناس يترجمونها ، **فما وجد أناساً يجيدون اللغة اللاتينية إلا اليهود** ، واليهود لأنهم يقرءون التوراة باللاتينية فإن بعض فرق اليهود تحرم أن تترجم التوراة للغات أخرى ، فكانوا يقرءونها باللاتينية ، فجمع هؤلاء اليهود وعرض عليهم الأمر ، فأبدوا استعدادهم للترجمة ، ثم بدءوا يكتبون ويكتبون ،

فوجدوا أن هذه الكتب فيها بغيتهم ؛ لأن فيها إفساد لعقائد المسلمين ، وفيها تحزيب وتفريق لهم ، فبدءوا يكتبونها بسرعة ، **ثم أعطوها للمأمون بعد أن نسخوا نسخاً منها لهم خاصة ، ثم تقول الروايات : إنهم بدءوا يكتبونها ويعطونها للوراقين بعد الترجمة بأسعار رخيصة** ، حتى ذكرت الرواية أن الكتاب ذات المائة صفحة كان يباع بعشرة دنانير ، ومن كتب الفلاسفة ذات المائة صفحة يبيعونها بدينار يعني : المجلد من كتب أهل الإسلام بعشرة دنانير ، والمجلد من كتب هؤلاء بدينار ، فظهرت هذه الكتب وبدءوا يقرءونها ويتأثرون بما فيها ، ثم ظهرت الآراء العقدية المختلفة ؛ لأنهم لم ينهجوا منهج السلف في عدم الخوض في علم الكلام والفلسفة ؛ ولذلك كان السلف يؤكدون على أن علماء الكلام ليسوا من العلماء ، قال أحد السلف : حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ، ويطاف بهم في الأسواق ويقال : هذا جزاء من ترك القرآن والسنة وأقبل على علم الكلام .

ثامنا : النهي عن البدع

قال الرسول ﷺ (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) ، وقال ﷺ (كل بدعة ضلالة) ، وقال ﷺ (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عَضوا عليها بالنواجذ) .

البدع كل ما استحدث في دين الله مما ليس له أصل في منهج الرسول ﷺ ، وصحابته الكرام ، وخاصة الخلفاء الأربعة .

أمثلة على البدع :

الاحتفال المولد النبوي

الاحتفال بليلة النصف من شعبان

الاحتفال برأس السنة الهجرية أو الميلادية

الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج ..... وغيرها كثير

تاسعا : الرد على المخالف والمنحرف

شخص يؤلف عن البدع ويدافع عنها ، ويكتب فيها المؤلفات ، أو يكتب مقالا يمتدح فيها البدع ويدعو إليها ، أو له برامج تلفزيونية ، أو جلسات دعوية تخالف المنهج الصحيح ٠٠٠٠٠ **كيف نرد عليه ؟**

منهج أهل السنة في الرد عليهم على هؤلاء

هو بيان الحق بالدليل بدون سب وشتم ولعن ، أو إظهار العيوب كما يحصل من كثير من الناس ، حتى الذين ينتمون أو يدعون الانتماء إلى المنهج السلفي ، كما حصل لأحد العلماء في رده على عالم آخر أن قال عنه (فهو شيخ أضله الله وأعماه ، وأعمى بصره ووو) ، وأما أصحاب المنهج السلفي الصحيح فينتقد القول ولا يتعرض لشخص القائل مهما يكن،**(أدب الرد والحوار منهج المسلم)**

واقعنا في الرد والتصنيف ؟؟

يحصل أحيانا أن الشيخ فلاناً من العلماء أو من طلبة العلم أو إمام مسجد أو خطيب جمعة قد أخطأ أو اجتهد اجتهاداً معيناً في مسألة معينة ولم يوفق أو خالف غيره من العلماء ، **وهذا الخطأ أمر عادي** ؛ لأن الرسول ﷺ قال (كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون) وقال ﷺ (لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يذنبون ، فيستغفرون الله فيغفر لهم) ، فالأخطاء مسألة حاصلة ، فليس هناك أحد معصوم إلا الأنبياء والمرسلين ، فماذا يترتب على ذلك ؟

تجد أن هؤلاء يأخذون هذا الخطأ ، ثم يقيمون الدنيا ولا يقعدونها على هذا الخطأ ، ويردون عليه ردوداً كثيرةً ومستفيضة ، وربما يكبرون القضية حتى يخرجوا هذا الشخص من الإسلام ، أو يتهمونه بأنه من غير أهل ملة رسول الله ﷺ هذا واقع مشاهد ، لكنه ليس من منهج السلف ، من سار على هذا المنهج فليس من السلف في هذه المسألة بالذات ٠

المنهج في الرد

الأسلوب الحسن لدعوته وبيان خطأه ، أن تتواصل معه بأي وسيلة متاحة لمناصحته وبيان الحق له بأدب المسلم الناصح ، بالإتصال الهاتفي أو البريد الإلكتروني أو الرسائل الخاصة أو بالوات ساب أو بالزيارة له وهذه أفضلها مع التكلم بأسلوب الناصح المشفق .

راجع قصة التركي المسلم ابراهيم مع الطفل اليهودي جاد الله القرآني بالإنترنت

عاشرا : منهج أهل السنة والجماعة مع الأعداء

المنهج هو التزام العدل والإنصاف مع الأعداء ، قال تعالى (وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) المائدة ٨ ، هذا هو منهجنا ، إذا رأيناً المحسن قلنا له : أحسنت ، وإذا رأينا المسيء قلنا له : أسأت ، وإذا رأينا صاحب الخطأ قلنا : هذا خطأ ، وإذا رأينا صاحب الحسنة قلنا : جزاك الله خيراً على هذه الحسنة ، **هذا هو منهجنا مع الالتزام بأدب النقد** .

فالحكم على الجميع مبني على أعمالهم ، ولا نغفل الحسنات ونظهر السيئات ، ولا نسمح للعواطف أن تتحكم بالعقول .

فعمرو بن العاص ﵁ أثنى على الروم وهم كفار ، فبين في كلام طويل له أن الروم فيهم وفيهم ، وأنهم يعدلون مع رعيتهم ، لاحظوا الروم وكفرة ومن أهل النار إذا ماتوا على ما هم عليه ومع ذلك أثنى عليهم فيما هو حق عندهم ولم يثني على باطلهم هذا منهج أهل السنة والجماعة .

حادي عشر

منهج أهل السنة والجماعة في الدعاء على الكفار

الدعاء على جميع الكفار بالهلاك أمر محال لا يمكن تحققه

لأنهم باقون إلى أن تقوم الساعة فعن أنسٍ بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ اللَّهُ اللَّهُ) رواه مسلم ، وقوله ﷺ (لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ) رواه أحمد وابن حبان والحاكم وهي إحدى روايات مسلم .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى : أما الدعاء بالهلاك لعموم الكفار ، فإنه محل نظر ، ولهذا لم يدع النبي ﷺ على قريش بالهلاك ، بل قال (اللهم عليك بهم ، اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف) ، **وهذا دعاء عليهم بالتضييق** ، والتضييق قد يكون من مصلحة الظالم بحيث يرجع إلى الله عن ظلمه ، فالمهم أن الدعاء بالهلاك لجميع الكفار عندي تردد فيه ، وقد يستدل بدعاء خبيب حيث قال (اللهم أحصهم عدداً ، ولا تبق منهم أحداً) على جواز ذلك ، لأنه وقع في عهد الرسول ﷺ ولأن الأمر وقع كما دعا ، فإنه ما بقي منهم أحد على رأس الحول ، ولم ينكر الله تعالى ذلك ، ولا أنكره النبي ﷺ بل إن إجابة الله دعاءه يدل على رضاه به وإقراره عليه ، فهذا قد يستدل به على جواز الدعاء على الكفار بالهلاك ، لكن يحتاج أن ينظر في القصة ، فقد يكون لها أسباب خاصة لا تتأتى في كل شيء ، **ثم إن خبيباً دعا بالهلاك لفئة محصورة من الكفار لا لجميع الكفار .**

وقال الشيخ صالح الفوزان : المشروع في القنوت وغيره الدعاء على المعتدين من الكفار على المسلمين ، لأن النبي ﷺ لما قَنَتَ يدعو على الكفار خَصَّ المعتدين منهم ولم يدع على جميعهم فقال : اللهم العن فلاناً وفلاناً والقبيلة الفلانية ولم يعمم الكفار .

وقد أفتت اللجنة الدائمة : الدعاء بفناء كل الكفار اعتداء في الدعاء ؛ لأن الله قدر وجودهم وبقاءهم لحكمة ، والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك : ليس من المشروع الدعاء على عموم الكافرين بالهلاك ؛ لأنه مطلب لن يكون ؛ فحكمة الله ومشيئته اقتضت بقاء النوع البشري حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى ، ويأذن الله بموت من في السماوات والأرض كما قال تعالى (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ) ، ومن حكمته بقاء الصراع بين الحق والباطل ، وبين المؤمنين والكفار ، **فيبقى الجهاد قائما** ، ويبتلي الله كلاً من الفريقين بالآخر ، فتتم حكمة الله ، وينفذ قدره ، ويبلغ الأمر منتهاه كما قدره الله ٠

وقال الشيخ الدكتور عبد العزيز بن فوزان الفوزان : الدعاء بالهلاك على كل الكفار لا يجوز ، وهو من الاعتداء في الدعاء ، ومن الظلم الذي لا يرضاه الله لعباده ، وهو معارض معارضة صريحة لسنة الله عز وجل في بقاء المؤمنين والكافرين حتى قيام الساعة ، بل أخبر النبي ﷺ أنه عندما تقوم الساعة سيكون الروم أكثر الناس ، فأنت يا أخي عندما تدعو الله وتقول (ربي لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) تعارض سنة الله عز وجل في بقاء الكافرين إلى قيام الساعة ، وهذا من أعظم الاعتداء في الدعاء ، والأولى بنا كمسلمين أن ندعو الله إلى هداية الكفار وصلاحهم بالإسلام ٠

وقال أن أصحاب منهج الدعاء على كل الكفار بالهلاك قد يساهمون بمنهجهم هذا في تشويه صورة الإسلام والمسلمين ، وصد الناس عن سبيل الله ، لكنه يرى أن الدعاء على كل الظالمين جائز سواء أكانوا مسلمين أم كفارا ٠

وقال أقسام الدعاء على غير المسلمين ثلاثة هي :

القسم الأول : هو الدعاء بدعوة نوح عليه الصلاة والسلام (وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا) ، الإنسان حين يدعو بهذا الدعاء فكأنه يتألّى على الله عز وجل ، فما يدريك أنه فعلا لن يُسلم أحد من هؤلاء الكفار ، إن نوح عليه السلام أخبره الله بالوحي أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ٠

القسم الثاني : الدعاء على الكفار عموما بالهلاك والدمار لا يجوز ، ومن الاعتداء في الدعاء ، ولا يصح الاحتجاج بدعوة نوح على قومه ولا بدعوة موسى على قومه ؛ لأن موسى ونوح فهموا بالوحي أنه لن يؤمن أحد من قومهما ٠

القسم الثالث : الدعاء على الظالم سواء أكان مسلما أو كافرا فيجوز للمظلوم أن يدعو على ظالمه ولو كان مسلما ، فالنبي ﷺ قال في دعاء القنوت (اللهم اشدد وطأتك على مضر ، اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف) ، وقنت ﷺ شهرا يدعو على الذين قتلوا أصحابه في بئر معونة ، وقال ﷺ (ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حين يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ، وتفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب : وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين) رواه الترمذي .

ثاني عاشر

منهج أهل السنة والجماعة في لعن الكفار

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك : لعن عموم الكافرين والدعاء على الظالمين والمعتدين منهم فهذا جائز كما قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ) سورة الأحزاب ، وكما قال ﷺ (لَعنَ الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) متفق عليه ، **ولا يجوز لعن المعين من الكفار إلاَّ أن يكون ذا تسلط على المسلمين** ، وشدة عداوة كما كان النبي ﷺ يقنت في صلاة الفجر ، ويلعن بعض رؤوس الكفر ، ويقول (اللهم العن فلانا وفلاناً ويسميهم) ، فأنزل الله تعالى (ليس لك من الأمر شيء) آل عمران ، مسند أحمد والنسائي وفي هذه الآية بيان أن الأمر كله لله وليس للرسول ﷺ من أمر هداية الخلق وإضلالهم شيء ، فإنه سبحانه يضل من يشاء ، ويهدي من يشاء ، ويرحم من يشاء ، ويعذب من يشاء ، فليس كل من لعنه الرسول يستجاب له فيه ، ولهذا مَنَّ الله على بعض أولئك الذين دعا عليهم الرسول ولعنهم ، فأسلموا وحسن إسلامهم وهم : صفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو ، والحارث بن هشام رضي الله عنه .

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : المنهي عنه هو لعن الكفار في الدعاء على وجه التعيين ، أما لعنهم عموماً ، فلا بأس به ، وقد ثبت عن أبي هريرة أنه كان يقنت ويلعن الكفرة عموماً .

ثالث عشر

المناهي اللفظية لابن عثيمين

قال الشيخ رحمه الله : إن أراد الإنسان بتصحيح الألفاظ إجراءها على اللغة العربية فهذا صحيح فإنه لا يهم (من جهة سلامة العقيدة) أن تكون الألفاظ غير جارية على اللغة العربية ما دام المعنى مفهوما وسليما ٠

أما إذا أراد بتصحيح الألفاظ ترك الألفاظ التي تدل على الكفر والشرك فكلامه غير صحيح بل تصحيحها مهم ، ولا يمكن أن نقول للإنسان أطلق لسانك في قول كل شيء ما دامت النية صحيحة بل نقول الكلمات مقيدة بما جاءت به الشريعة الإسلامية ٠

١- عبارة أجعل بينك وبين الله صلة ، وأجعل بينك وبين الرسول صلة

الصلة بالله بالتعبد له والصلة بالنبي ﷺ بإتباعه فهذا حق ، أما إذا أراد بها اللجوء للنبي ﷺ في الشدائد والمستغاث عند الكربات فإن هذا محرم بل هو شرك أكبر مخرج عن الملة ٠

٢-عبارة أدام الله أيامك

من الاعتداء في الدعاء لأن دوام الأيام محال قال تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) ٠

٣-لفظ جلاله وصاحب الجلالة ، وصاحب السمو ، وأرجو وآمل

لا بأس بها إذا كانت المقولة فيه أهلا لذلك ، ولم يخشى منه الترفع والإعجاب بالنفس ، وكذلك أرجو وآمل ٠

٤- يسأل بوجه الله فيقول أسألك بوجه الله كذا وكذا

وجه الله أعظم من أن يسأل به الإنسان شيئاً من الدنيا ويجعل سؤاله بوجه الله – عز وجل – كالوسيلة التي يتوصل بها إلى حصول مقصوده من هذا الرجل الذي

توسل إليه بذلك ، فلا يقدمن أحد على مثل هذا السؤال ، أي لا يقل وجه الله عليك أو أسألك بوجه الله أو ما أشبه ذلك ٠

٥- قول استجرت برسول الله صلى الله عليه وسلم

إنها كلمة منكرة والاستجارة بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته لا تجوز٠

٦- قول أطال الله بقاءك وطال عمرك

لا ينبغي أن يطلق القول بطول البقاء ، لأن طول البقاء قد يكون خيراً وقد يكون شراً ، فإن شر الناس من طال عمره وساء عمله ، وعلى هذا فلو قال أطال بقاءك على طاعته ونحوه فلا بأس بذلك ٠

٧- كلمة الله غير مادي

قول منكر ، لأن الخوض في مثل هذا بدعة منكرة ، فالله تعالى ليس كمثله شيء

٨- قول البعض الله ما يضرب بعصا

لا يجوز أن يقول الإنسان مثل هذا التعبير بالنسبة لله عز وجل

٩- عبارة الله ورسوله أعلم

فأجاب بقوله : قوله (الله ورسوله أعلم) جائز ، وذلك لأن علم الرسول ﷺ من علم الله ، فالله تعالى هو الذي يعلمه ما لا يدركه البشر ولهذا أتى بالواو وكذلك في المسائل الشرعية يقال (الله ورسوله أعلم) لأنه ﷺ أعلم الخلق بشريعة الله ، وعلمه بها من علم الله الذي علمه كما قال الله تعالى (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم) ٠

ففي الأمور الشرعية يقال (الله ورسوله أعلم) وفي الأمور الكونية لا يقال ذلك ، ومن هنا نعرف خطأ وجهل من يكتب الآن على بعض الأعمال (وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يرى العمل بعد موته ٠

١٠- عبارة الله يسأل عن حالك

لا تجوز لأنها توهم أن الله تعالى يجهل الأمر فيحتاج إلى أن يسأل ٠

١١- قول العاصي أنا حر في تصرفاتي

هذا خطأ ، نقول : لست حراً في معصية الله ، بل إنك إذا عصيت ربك فقد خرجت من الرق الذي تدعيه في عبودية الله إلى رق الشيطان والهوى ٠

١٢- عبارة باسم الوطن ، باسم الشعب ، باسم العروبة

هذه العبارات إذا كان الإنسان يقصد بذلك أنه يعبر عن العرب أو يعبر عن أهل البلد فهذا لا بأس به ، وأن قصد التبرك والاستعانة فهو نوع من الشرك ، وقد يكون شركا أكبر بحسب ما يقوم في قلب صاحبه من التعظيم بمن استعان به ٠

١٣- عبارة بفضل فلان تغير هذا الأمر ، أو بجهدي صار كذا

هذه العبارة صحيحة إذا كان للمذكور أثر في حصوله ، فإن الإنسان له فضل على أخيه إذا أحسن إليه ، فإذا كان الإنسان في هذا الأمر أثر حقيقي فلا بأس أن يقال : هذا بفضل فلان ، أو بجهود فلان ، أو ما أشبه ذلك ، لأن إضافة الشيء إلى سببه المعلوم جائزة شرعا وحساً ، أما إذا أضاف الشيء إلى سبب وليس بصحيح فإن هذا لا يجوز ، وقد يكون شركا ، كما لو أضاف حدوث أمر لا يحدثه إلا الله إلى أحد من المخلوقين ، أو أضاف شيئا إلى أحد من الأموات أنه هو الذي جلبه له فإن هذا من الشرك في الربوبية ٠

١٤- البقية في حياتك وحياتك الباقية

لا أرى فيها مانعاً إذا قال الإنسان (البقية في حياتك) **لا أري فيها مانعا** ، ولكن الأولى أن يقال إن في الله خلفا من كل هلاك ، أحسن من أن يقال (البقية في حياتك) ، كذلك الرد عليه إذا غير المعزي هذا الأسلوب فسوف يتغير الرد ٠

١٥- عبارة زارتنا البركة وتباركت علينا

العامة لا يريدون بهذا ما يريدونه بالنسبة إلى الله عز وجل وإنما يريدون أصابنا بركة من مجيئك ، والبركة يصح إضافتها إلى الإنسان ، وطلب البركة لا يخلو من أمرين :

الأمر الأول : أن يكون طلب البركة بأمر شرعي معلوم مثل القرآن الكريم قال الله تعالى (وهذا كتاب أنزلناه مباركاً) ٠

الأمر الثاني : أن يكون طلب البركة بأمر حسي معلوم ، مثل العلم فهذا الرجل يتبرك به بعلمه ودعوته إلى الخير ٠

١٦- تدخل القدر وتدخلت عناية الله

لا تصلح لأنها تعني أن القدر اعتدى بالتدخل وأنه كالمتطفل على الأمر ، مع أنه أي القدر هو الأصل فكيف يقال تدخل ؟ والأصح أن يقال : ولكن نزل القضاء والقدر أو غلب القدر أو نحو ذلك ، ومثل ذلك (تدخلت عناية الله) الأولى إبدالها بكلمة حصلت عناية الله ، أو اقتضت عناية الله ٠

١٧- عبارة حرام عليك أن تفعل كذا وكذا

هذا الذي وصفه بالتحريم إما أن يكون ما حرم الله كما لو قالوا حرام أن يعتدي الرجل على أخيه وما أشبه ذلك فإن وصف هذا الشيء بالحرام صحيح مطابق لما جاء به الشرع ٠

وأما إذا كان الشيء غير محرم فإنه لا يجوز أن يوصف بالتحريم ولو لفظاً ؛ لأن ذلك قد يوهم تحريم ما أحل الله عز وجل ، فينهى هؤلاء عن إطلاق مثل هذه الكلمة ٠

١٨- عبارة حرية الفكر ، وحرية الاعتقاد

من يجيز أن يكون الإنسان حر الاعتقاد ، يعتقد ما شاء من الأديان فإنه كافر ، لأن كل من اعتقد أن أحداً يسوغ له أن يتدين بغير دين محمد ﷺ فإنه كافر بالله يستتاب فإن تاب وإلا وجب قتله ، والأديان ليست أفكاراً ، ولكنها وحي من الله ينزله على رسله ، وهذه الكلمة (فكر) ، التي يقصد بها الدين يجب أن تحذف من قواميس الكتب الإسلامية ، لأنها تؤدي إلى هذا المعنى الفاسد ، وهو أن يقال عن الإسلام : فكر ، والنصرانية فكر ، واليهودية فكر ، فيؤدي إلى أن تكون هذه الشرائع مجرد أفكار أرضية يعتنقها من شاء من الناس ، والواقع أن الأديان السماوية أديان من عند الله يعتقدها الإنسان على أنها وحي من الله تعبد بها عباده ، ولا يجوز أن يطلق عليها (فكر) . وخلاصة الجواب : أن من يعتقد أنه يجوز لأحد أن يتدين بما شاء وأنه حر فيما يتدين به فإنه كافر بالله لأن الله يقول (ومن يبتغي غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) ويقول (إن الدين عند الله الإسلام) فلا يجوز لأحد أن يعتقد أن ديناً سوى الإسلام جائز يجوز للإنسان أن يتعبد به بل إذا اعتقد هذا فقد صرح أهل العلم بأنه كافر كفراً مخرجاً عن الملة ٠

١٩- عبارة شاءت الظروف أو الأقدار أن يحصل كذا وكذا وعبارة شاءت قدرة الله وشاء القدر

قول (شاءت الأقدار) ، و(شاءت الظروف) ألفاظ منكرة ؛ لأن الظروف جمع ظرف وهو الأزمان ، والزمن لا مشيئة له ، وإنما الذي يشاء هو الله ، ، نعم لو قال الإنسان : (اقتضى قدر الله كذا وكذا) فلا بأس به ، أما المشيئة فلا يجوز أن تضاف للأقدار لأن المشيئة هي الإرادة ، ولا إرادة للوصف ، إنما الإرادة للموصوف ٠

٢٠- كلمة صدفة

لا بأس به وهذا أمر متعارف وأظن أن فيه أحاديث بهذا التعبير صادفنا رسول الله صادفنا رسول الله ، والمصادفة والصدفة بالنسبة لفعل الإنسان أمر واقع ، لأن الإنسان لا يعلم الغيب فقد يصادفه الشيء من غير شعور به ومن غير مقدمات له ولا توقع له ، ولكن بالنسبة لفعل الله لا يقع هذا ، فإن كل شئ عند الله معلوم وكل شئ عنده بمقدار ولا تقع الأشياء بالنسبة إليه صدفة أبدا ، ولكن بالنسبة لي أنا وأنت نتقابل بدون ميعاد وبدون شعور وبدون مقدمات فهذا يقال له صدفة ، ولا حرج فيه ، أما بالنسبة لأمر الله فهذا فعل ممتنع لا يجوز ٠

٢١- عبارة العصمة لله وحده

هذه العبارة قد يقولها من يقولها يريد بذلك أن كلام الله عز وجل وحكمه كله صواب ، وليس فيه خطأ وهي بهذا المعنى صحيحة ، لكن لفظها مستنكر ومستكره ، لأنه قد يوحي بأن هناك عاصما عصم الله عز وجل والله سبحانه وتعالى هو الخالق ، وما سواه مخلوق ، فالأولى أن لا يعبر الإنسان بمثل هذا التعبير ، بل يقول الصواب في كلام الله ، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ٠

٢٢- عبارة فال الله ولا فالك

هذا التعبير صحيح ، لأن المراد الفأل الذي هو من الله ، وهو أني أتفاءل بما قلت ، هذا هو معنى العبارة ، وهو معنى صحيح أن الإنسان يتمنى الفأل الكلمة الطيبة من الله سبحانه وتعالى دون أن يتفاءل بما يسمعه من هذا الشخص الذي تشاءم من كلامه ٠

٢٣- عبارة كل عام وانتم بخير

قول كل عام وأنتم بخير جائز إذا قصد به الدعاء بالخير ٠

٢٤- لعن الشيطان

لم نؤمر بلعن الشيطان ، وإنما أمرنا بالاستعاذة منه قال تعالى (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله أنه سميع عليم) وقال تعالى (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم) ٠

٢٥- عبارة لعنه الله على المرض الذي أعاقني

لعن المرض من أعظم القبائح لأن لعنه للمرض الذي هو من تقدير الله بمنزلة سب الله ٠

٢٦- عبارة لم تسمح لي الظروف أو لم يسمح لي الوقت

إن كان القصد انه لم يحصل وقت يتمكن فيه من المقصود فلا بأس به ، وإن كان القصد أن للوقت تأثيرا فلا يجوز ٠

٢٧- عبارة ما صدقت على الله أن يكون كذا وكذا

يعنون ما توقعت وما ظننت أن يكون هكذا ، وليس المعنى ما صدقت أن الله يفعل لعجزه عنه مثلا ، فالمعنى أنه ما كان يقع في ذهنه هذا الأمر ، هذا هو المراد بهذا التعبير ، فالمعنى أذن صحيح لكن اللفظ فيها إيهام ، وعلى هذا يكون تنجب هذا اللفظ أحسن لأنه موهم ، ولكن التحريم صعب أن نقول حرام مع وضوح المعنى أنه لا يقصد به إلا ذلك ٠

٢٨- عبارة وجه الله إلا أن تأكل

لا يجوز لأحد أن يستشفع بالله إلى أحد من الخلق ، فإن الله أعظم وأجل من أن يستشفع إلى خلقه وذلك لأن مرتبة المشفوع إليه أعلى من مرتبة الشافع والمشفوع له ، فكيف يصح أن يجعل الله شافعا عند أحد ٠

٢٩- عبارة لا سمح الله

أكره أن يقول القائل (لا سمح الله) لأن قوله (لا سمح الله) ربما توهم أن أحدا يجبر الله على شيء فيقول (لا سمح الله) والله كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (لا مكره له) ، والأولى أن يقول (لا قدر الله) بدلا من قوله (لا سمح الله) لأنه ابعد عن توهم ما لا يجوز في حق الله

٣٠- عبارة يعلم الله كذا وكذا

هذه مسألة خطيرة حتى رأيت في كتب الحنفية أن من قال عن شيء يعلم الله والأمر بخلافه صار كافرا خارجا عن الملة ، فإن قلت (يعلم أني ما فعلت هذا) وأنت فاعله فمقتضى ذلك أن الله يجهل الأمر ، (يعلم الله أني ما زرت فلانا) وأنت زائره صار الله لا يعلم بما يقع ، ومعلوم أنا من نفى عن الله العلم فقد كفر ، ولهذا قال الشافعي رحمه الله في القدرية قال (جادلوهم بالعلم فإن أنكروه كفروا ، وإن أقروا خصموا) ، والحاصل أن قول القائل (يعلم الله) إذا قالها والأمر على خلاف مع قال فإن ذلك خطير جدا وهو حرام بلا شك ، أما إذا كان مصيبا ، والأمر على وفق مع قال فلا بأس بذلك ، لأنه صادق في قوله ولأن الله بكل شيء عليم ٠

٣١- عبارة على هواك أو عبارة العين وما ترى والنفس ما تشتهي

هذه الألفاظ ليس فيها بأس إلا أنها تقيد بما يكون غير مخالف للشرع ، فليس الإنسان على هواه في كل شئ تراه ، المهم أن هذه العبارة حيث هي لا بأس بها لكنها مقيدة بها بما لا يخالف الشرع ٠

٣٢- الإنسان إن الله على ما يشاء قدير عند ختم الدعاء

هذا لا ينبغي لوجوه :

الأول : أن الله تعالى إذا ذكر وصف نفسه بالقدرة لم يقيد ذلك بالمشيئة في قوله تعالى (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير) ، وقوله (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) فعمم في القدرة لأن القدرة صفة أزلية أبدية شاملة لما شاء وما لم يشأ ، لكن ما شاءه سبحانه وقع وما لم يشأه لم يقع ٠

الثاني : أن تقييد القدرة بالمشيئة خلاف ما كان عليه النبي ﷺ وأتباعه فقد قال الله عنهم (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير) ولم يقولوا (إنك على ما تشاء قدير) ٠

الثالث : أن تقييد القدرة بالمشيئة يوهم اختصاصها بما يشاؤه الله تعالى فقط ، لا سيما وأن ذلك التقييد يؤتى به في الغالب سابقاً حيث يقال : (على ما يشاء قدير) وتقديم المعمول يفيد الحصر كما يعلم ذلك في تقرير علماء البلاغة وشواهده من الكتاب والسنة واللغة ، وإذا خصت قدرة الله تعالى بما يشاؤه كان ذلك نقصاً

في مدلولها وقصراً لها عن عمومها فتكون قدرة الله – تعالى ناقصة حيث انحصرت فيما يشاؤه ، وهو خلاف الواقع فإن قدره الله تعالى عامة فيما يشاؤه وما لم يشأه ، لكن ما شأه فلابد من وقوعه ، وما لم يشأه فلا يمكن وقوعه .

فإذا تبين أن وصف الله تعالى بالقدرة لا يقيد بالمشيئة بل يطلق كما أطلقه الله تعالى لنفسه فإن ذلك لا يعارضه قول الله تعالى (وهو على جمعهم إذا يشاء قدير) ، فإن المقيد هنا بالمشيئة هو الجمع لا القدرة ، والجمع فعل لا يقع إلا بالمشيئة ولذلك قيد بها فمعنى الآية أن الله تعالى قادر على جمعهم متى شاء وليس بعاجز عنه كما يدعيه من ينكره ويقيده بالمشيئة رد لقول المشركين الذي قال الله تعالى عنهم (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين ، قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ، فلما طلبوا الإتيان بآبائهم تحدياً وإنكاراً لما يجب الإيمان به من البعث ، بين الله تعالى أن ذلك الجمع الكائن في يوم القيامة لا يقع إلا بمشيئته ولا يوجب وقوعه تحدي هؤلاء وإنكارهم كما قال الله تعالى (زعم الذي كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن) ، والحاصل أن قوله تعالى (وهو على جمعهم إذا يشاء قدير) لا يعارض ما قررناه من قبل لأن القيد بالمشيئة ليس عائداً إلى القدرة وإنما يعود إلى الجمع . وكذلك لا يعارضه ما ثبت في صحيح مسلم في كتاب (الإيمان) في (باب آخر أهل النار خروجاً) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ (آخر من يدخل رجل) فذكر الحديث وفيه أن الله تعالى – قال للرجل : " إني لا استهزئ منك ولكني على ما شاء قادر " وذلك لأن القدرة في هذا الحديث ذكرت لتقدير أمر واقع والأمر الواقع لا يكون إلا بعد المشيئة ، وليس المراد بها ذكر الصفة المطلقة التي هي وصف الله تعالى أزلا وأبدلاً ، ولذلك عبر عنها باسم الفاعل (قادر) دون الصفة المشبهة (قدير) ، وعلى هذا فإذا وقع أمر عظيم يستغرب أو يستبعد قالوا قادر على ما يشاء ، يجب أن يعرف الفرق بين ذكر القدرة على إنها صفة لله تعالى فلا تقيد بالمشيئة ، وبين ذكرها لتقدير أمر واقع فلا مانع من تقييدها بالمشيئة ، لأن الواقع لا يقع إلا بالمشيئة ، والقدرة هنا ذكرت لإثبات ذلك الواقع وتقدير وقوعه ، والله سبحانه أعلم .

بعض المراجع

بحث للشيخ سعود بن عبد العزيز العريفي

محاضرة للشيخ ابراهيم الفارس

المناهي اللفظية للشيخ ابن عثيمين

وغيرها مما نشر بالإنترنت